من أيام خلت الى أيام أغسقت
حياة شرارة.. ضفيرة الوعي السياسي والفعل الثقافي

الشهيد
قاسم عبد الامير عجام

وكم من رموز أطفأت الفاشية وهجها وأفرغتها من عناصر الحياة فيها !
وكم من رمز يهمها ان تطفئ كي تستمر؟؟ وكم رواية او نص ادبي نحتاج لنقشر عملية اطفاء تلك الرموز لنرى كم شمعة تنطفئ الى جانبها على دروب الحياة المختلفة ؟!
وبالهذه الرواية كم صبرت على تقشير تلك العملية عبر درجاتها (فصولها) وعبر استداراتها على درجات الانحدار الى ظلمة الانطفاء حيث لا ينفع استاذ كان رمزاً:
(انني ارى كل شيء واسكت عنه وأظل مكتوف اليدين لا احرك ساكناً).
او حيث يسقط عاجزاً عن فهم ما يحيط به (الطلبة الراسبون في دروسي اصبحوا ينجحون دون علمي) وحتى اذا عرف ان ذلك يحدث لانهم يدفعون لزملائه فانه أعجز من منع ذلك!!.
ولم يتجسد ذلك الصبر في التوغل في نفوس شخصياتها او تحليلها وهي تتلظى في نار محنتها او شراك حصاراتها، فان حياة شرارة لم تفعل ذلك حتى مع د. نعمان سارد عملها هذا بل ولم تتوقف حتى عند نساء رواياتها هذه، وهي امراة، وانما القت بقدرتها الى جانب الوقائع وتركت لخطاب المفردات اليومية التي تدخل خطوط (الاعتياد) وحتمية المسار المطلوب سلطوياً تركت له ان ينثر اشارات ومفارقات علينا نحن المتلقين ان نلتقطها وان نتخذها جسوراً الى ضفافها الأخرى عبر جدلية المعلن والمضمر وان نعيد ترتيب الوقائع او تجميع آثار جزيئاتها التي قد لا تعمل في الوقت نفسه او تعمل أجزاء من هذه مع أجزاء من تلك لا تبدو متزامنة معها غير انها سهام تنطلق من جعبة السلطة - لحزب مستهدفة الروح الإنساني، ونزعم ان الرواية كانت مثابرة في ملاحقة تلك السهام فتكون اقرب للمرايا التي تعكس صوراً تسقط عليها من أكثر من زاوية ومنها ما قد يكون الى جانبها. حواراتها القصيرة بعض من ذلك الانعكاس، ضعف حيلتها ازاء ما ينالها من سهام مفاجئة انعكاس آخر. اختلاف التعبير عن ضعف الحيلة ذاك بين الانشغال بالمحافظة على الشرط الانساني في الذات والخوف عليه من الانفراط وبين الاستسلام للواقع الذي تشكله القوى المطلقة لتلك السهام، وهو التصرف الغالب وان اتخذ بدوره اشكالاً شتى أو انعكاسات اخرى!!

> استمرت عزلة الدكتور اكرم في ذهن الراوي لتكون استهلالاً للفصل السابع ، او لنقل الان الدرجة السابعة نحو العالم السفلي ، اذ يرسم تضاؤل عالم ذلك الاستاذ المطرود مستقبل الدكتور نعمان الذي يخطو نحوه باصراره على طلب التقاعد لعله يحتفظ بشيء من نفسه بعد ان وجد نفسه يتنازل ويتساهل ويؤدي دوراً يكرهه مطأطئاً الرأس امام نفسه وقيمه من دون ان يستطيع التصرف لغير ما يفرض عليه في دولة (الاخ الاكبر) / القائد الضرورة ، وانه لفي انشغاله بنزيف ذاته يقلب في صفحات من تاكل ينهشه ويجرنا الى بئر بلا قرار. ان شكا لبعض الاساتذة ابتسموا بلامبالاة وحاولوا بعد مجاملات مفتعلة تغيير الكلام لانه لا يروق لهم! وان قال (اريد العودة الى ذاتي) قال له صديقه القديم د. وجدي " هش ، اخفض صوتك ، الحيطان لها اذان ، فكر بحكمة!" وحكمته هي التي قادته الى طلب التقاعد تحت لفح نيران تلفحه حيثما اتجه ، وخسائر تترى: من ذاته ، ومجده ، واخلاقياته. ومع ذلك يسمع من (ينصحه) او يأمره باطاعة مقولة دستويوفسكي " اخضع ايها الإنسان الفخور!!" او يجد من يبرر له الخضوع بصورة اشد مما تدعوه اليه تلك المقولة.. فيشتد الحصار عليه بين منطق ضميره وبقايا ذاته المجروحة ، وبين منطق الخراب المحيط به وبينهما وبين بؤس الفقر ورماد ايامه! فيعلو صوت بوجه في مواجهة من يدعو للاستمرار في المداهنة وهو بوم يثير احزان كثيرين ممن تاكلوا حتى الجفاف والخواء ، او في الاقل يثير ذكرى خانق مروا به:
(لقد كنت رمزاً في السابق ، اما الآن فلا ! ...)

أصبحت الزاماً يؤديه الاساتذة كل عام بالوقوف على قبان الوزن ليؤدوا فروض الطاعة بعد ان سلبت منهم آخر الحريات التي كانت تتمثل في اختيار الطعام الذي يريدون!! فكان عليهم بعد فرض معايير اللياقة البدنية للرجال والنساء، وتبعاً لعمر كل منهم وطوله، ان يأكلوا بحساب وان يشربوا بحساب والا فان من يفشل في الانصياع لمنطق القبان عليه ان يتحمل "تخفيض درجة الراتب التي يحصل عليها الموظف مرة واحدة كل ثلاث او اربع او خمس سنوات" /٢٥٠ .
وبالقصدية ذاتها نتوقف طويلاً عند حشود المدافعين لإثبات الطاعة للميزان وقد علاهم شحوب الحرمان والجوع وتقنين الطعام، وطويلاً توقفت عند جو الغرفة واجراءاتها وفساد تهويتها، بصدق الانتقاء وعين السرد الذكية وتحولها الى سلم مهين افقد الأساتذة أو عدداً منهم توازنه ودفعهم للهرب بالقفز من الشباك بحثاً عن خلاص ! او الدخول عبره استعجالاً لتقديم فروض الطاعة!!
وبالقصدية ذاتها صرنا نتأوه مع الدكتور نعمان بل ونشاركه ما خالجه من إحساس بالمهانة، ولكن "الخوف الواعي المكبوت" في داخله منعه "من الافصاح عنه" / ص,٢٥٢ ورأينا معه كيف صار الميزان في الغرفة العابقة بالهواء المسموم بالمهانة "هو الحقيقة الوحيدة الموجودة بالنسبة للواقفين وكل ما عداها لا مكان له، لقد تلاشت العلاقات الإنسانية والتعابير الاخلاقية المألوفة ولم يعد يستطيع التفكير الا بنفسه .. بلحظة خلاصة..." /ص,٢٥٨

افليست هذه صورة من صور القيامة يوم يفر المرء من اخيه وامه وأبيه وصاحبته التي تؤويه؟ بل وهي قيامة الجحيم حصراً حيث يكون الخلاص هو الشغل الشاغل! ام تراه نوعاً من صراط (مستقيم) يكون العبور عليه امتحان الامتحانات فمن أطاع واخلص النية عبر، والا فالجحيم له مسعرة؟ لعله كذلك وقد استحضره النص بذكاء للتعبير عن غطرسة القوة المتفردة المنفردة بضحاياها في تلذذ سادي يعمق صورة الاستبداد في جانب، ومأساة الضحية في جانب آخر، إذ يكون "الوصول الى الميزان في ذلك اليوم المشهود هو الذي يغنيني ويعميني عن كل الروابط التي تصلني بالآخرين وتشعرني بغربتي عنهم" / ص٢٥٩ .
اجل، وان شدة تحديق الروائية بدلالات وآليات الاستبداد الذي فرض القيد حتى على مائدة ضحاياه، الفقيرة اصلاً، وقصديتها الواعية قادتا الضحية الساردة الى ان تقرا ذلك المعنى في غياب اية صورة او روزنامة عن جدران الغرفة، سوى صورة رئيس الجمهورية ! (ص٢٥٩)، فتركت لها ولنا ان نقرأ في ((نظرة عينيه الثاقبتين بفخر واعتداد لكل ما يجري في الغرفة)) سبباً لمأساة الضحية المحاصرة بالرداءة. ونقرأ في انفرادها على جدران الغرفة انفراد القرار المستبد الذي يشرف على ما يحدث باتجاه الهاوية!
على ان حضور صورة الرئيس هنا، فضلاً عن رمزيته، يتفق مع ما ذكره (سكنر) عميد المدرسة السلوكية في علم النفس في ضربة حدسية مدهشة وهو يدرس موضوع الثقافة في كتابه (تكنولوجيا السلوك الإنساني) ❖ إذ يشير الى احتمال ان تدخل في عادات مجتمع ما ثم في ثقافته ممارسات لم تكن من ثقافته اصلاً وانما تفرض عليه بقوى غريبة مستبدة كان تكون عقدة رئيس مستبد من الطعام او ضعف الشهية ما يجعله يفرض على شعبه تقنينا للطعام لا يلبث، بفعل القوة، ان يصبح عادة اجتماعية ! فكيف وقد صار الامر بالنسبة للمجتمع العراقي تجربة حقيقية لها أوامرها وعقوباتها؟!
حقاً ان الأمر بدلالاته المتشعبة مادة درامية تغني عملاً روائياً يقوم على قصدية يحركها فهم لرسالة الابداع الاجتماعية، ولذا جالت عين الروائية في جوانب هذه المهزلة المأساة (الفصل الثامن) وصولاً الى ما بعد اجتياز الميزان من بوح وحوارات عن امتدادات او ممارسات يفرزها تردي المجتمع ما يجعل الجولة رؤية بانورامية ولكنها بأكثر من عين واحدة وكلها تعمل معاً لالتقاط دقائق متداخلة تثير الدهشة ازاء قدرة توليفها في شبكة دالة.. يمكنها ان تقوم لوحدها كنص له كيانه من دون ان يفتقد صلته بما قبله او بعده.
والحق ان الرواية اعتمدت هذا الأسلوب لتمنح المتلقي فرصة تأمل اعمق بعد كل فصل من فصولها، إذ يمكن قراءة أي فصل من فصولها كنص قائم بذاته ويستمد كيانه القصصي من ظاهرة من ظواهر الايام الغسقية ما يعيدنا الى القصدية في كتابتها. ويعيدنا الوعي الذي افرزها الى قضية المثقف وتأثيره الاجتماعي.

فالوعي الذي انتج هذه الرواية بلوحاتها التسع وعي مثقف بالمعنى الحركي للثقافة وهي المعنى الذي يضع المثقف في خضم الحركة الاجتماعية والتغيرات التي تتصل بقوى المجتمع الصاعدة والهابطة وتفرض بدورها ضرورة تكوين موقف وممارسات إزاء كل منها، ولعل التغييرات التي رصدتها، حياة شرارة في روايتها هذه من اخطر ما تعرض له مجتمع من المجتمعات، وهي تغييرات احدثها الحصار الذي فرض على العراق رداً على حماقات سياسة قيادته المستبدة فاستثمرته هذه بلؤم لتشديد قبضتها على الشعب. وكانت تغيرات تدفع بكيان العراق نحو عالم سفلي من خراب شامل يمتد من العلاقات الاقتصادية وتأثيرها الاجتماعي الى الانسان الفرد وخساراته التي كان أشدها فداحة التشوه الذي الحق به عبر نكوص مستمر نحو ما تجره وما تجر اليه عوامل الإحباط والخيبات المتتالية.. حيث كانت المراة العراقية اكبر الخاسرين، وكانت النساء العراقيات صفوفاً مكسورة في المأساة العراقية ومسيرة النكوص ما جعل المثقفات العراقيات امام امتحان خطير على صعيدي فهم الثقافة دور المثقف وسبل مواجهة المأساة العراقية، وكان الامتحان اشد صعوبة امام المثقفات المبدعات.
ونحسب ان اغنى مثقفاتنا عطاء عبرن عن وعي نافذ جنبهن السقوط في شرنقة النسوية او الأنوثة فانشغلن بقضايا فكرية وثقافية، وابدعن قصصاً وروايات ودراسات فكرية فتحت تلك الجروح او تسامت عليها تبعاً لهامش الفعل المتاح. ولعل أعمال لطفية الدليمي وبديعة أمين كانت من الأمثلة التي تشهد للفهم الثقافي الحق لمكانة المراة وقوتها وقدرتها باعتبار الفعل الثقافي الرصين قوة حقيقية.
ويأتي هذا العمل (إذا الايام اغسقت) للدكتورة حياة شرارة معززاً لوعي متقدم لمثقفة عراقية تسامت على مأساة بنات جنسها فانشغلت بوعي المأساة في صعيدها الاجتماعي العام.
فقدمت نصاً يحيل الى قوة الفعل الثقافي والوعي الاجتماعي مصاغاً بعمل امراة مثقفة لم تتردد في مكاشفتنا بالنهاية التراجيدية لاجيالنا مادام الاستبداد يرفع "سيفيه المتقاطعين بقبضتين جبارتين" وقد "سارت جموع الناس زرافات من تحتهما" إذ لا خلاص للفرد منهما الا بالموت .. مواجهة او قتلاً او اغتيالاً او كمداً ، او موتاً معنوياً بالهرب او التهرب تحت خيمة التنازلات او لابد من ان يصبح كالدكتور نعمان بعد ان حرم من فرصة الهرب الى التقاعد- وهو بالنسبة له نوع من موت بطيء مطاطئ الرأس وقد اصبح جزءاً من الكتلة البشرية المضطهدة المساقة الى الموت "تحمل صلبانها وتسير فوق ارض ترابها من رماد.. رماد الحرائق المنظورة وغير المنظورة التي عاشوها ومازالوا يواصلون السير فوقها وعيونهم الى الارض، واحياناً يرفعونها الى السماء فيبدو فيها التضرع والابتهال والدعاء الصامت." ص٢١٧ .
وبذلك الوعي الحاد لحقيقة ما كان بجري وما سيجر إليه، وقد جر الى الاحتلال، انهت عملها هذا مؤكدة قدرتها على الصراخ بوجه الجموع المنهكة تحت سيفي الاستبداد منتصرة لنفسها ولتلك الجموع حتى الخاتمة التي وضعت ما سمي بساحة الاحتفالات موضعها الصحيح باعتبارها ممراً الى المهالك وجسراً الى عالم الانحطاط.
ومن هنا تجد قراءتنا لهذه الرواية ان من الضروري الالتفات نحو مكونات هذه المثقفة المبدعة ومنجزها الاخر، وهو منجز ثقافي الى جانب الرواية والقصة، لتتكامل هذه القراءة مع تلك الالتفاتة في تقديم نموذج لمثقفة عراقية سقته قنوات معرفية وتجارب متعددة وهو ما نحاوله في الخطوة التالية.

❖ تكنولوجيا السلوك الانساني- ترجمة د. عبد القادر يوسف- سلسلة عالم المعرفة- العدد ٣٢- الكويت- ص,١٣١

الخطاب الصوفي بين الجذور والامدادات

د. عامر عبد زيد

الملاحظ ان الخطاب الصوفي له بعدان، الاول البعد العالمي سواء في ماضي هذه التجربة ام اتساعها في كل الديانات والثقافات، وهذا يؤكد ان الانسان يمتلك حساً عميقاً يكاد يكون من صفاته القريبة هذا الحس الذي يتوحد فيه الخالق مع المخلوق سواء كان ذلك عبر ذوبان الذات في الخالق ام حلول مقدرة الخالق في المخلوق وهي حالات ابدا لا يمكن ان تؤخذ على حرفيتها بل انها ذات بعد مجازي تخيلي يعبر بها المتصوف عن تجربة ذات افق لامتناه وغير القابل على ان يترجم الا عبر اللغة وبالتالي فان كل المحاولات تغدو في عقلنة هذه التجربة تمثل حالة تجن مارستها السلطة الفقهية فحملت الكلمات معاني حرفية فأسقطت اللا محدود في حدود المحدود وبالتالي اعطيت معنى حرفياً قضى على الاستعارات فاتهم المتصوفة بما لم يقولوه، ومارست الدراسات المعاصرة ذات افق الابستمولوجي على التصوف فجعلت منه افقاً ظلامياً مستقلاً وما نريد قوله ان الافق العالمي التصوفي لا يعني زوال هويته الاسلامية او التوحيدية بل يؤكد عمق التجربة وتجذرها في المخيلة الانسانية، وعلى هذا يمكن ان تجد جذوراً للتصوف مصرية تركت تأثيراً فيما بعد على المسيحية المصرية وتجدها في الفكر اليوناني والايراني القديم وهي كلها قد تتماثل في المنهج والرؤية وتتحد تلك التجربة افقياً فتلاحظ تنوع التجربة الصوفية في الفكر الهندي والصيني البوذي وغيرها من الثقافات التي تنوعت منظوماتها الصوفية بتنوع استعاراتها الممتدة بلا ضفاف لكن الخطاب العرفاني يقع بين اصل يسعى لاستحضاره وكلام منطوق لا يستطيع التعبير به انه اللامنطوق الذي يرمز به الجسد والاشارة التي تلمح ولا تصرح ولكنها تؤثر وتجرح.

ومن هذه العالمية للتصوف، الى الخصوصية التي انتجت تجربة صوفية اسلامية يمكن ان تكون متشابه في المنهج والرؤية مع التجربة العالمية الا انها تمتلك خصوصيتها الاسلامية عبر سيرها وفق الخط الشرعي متخذا من الزهد تجذيرها داخل الفضاء الاسلامي لكن سرعان ما تحول هذا الزهد الى تصوف وفي هذا يقول الغزالي (ان الزهد هو مقام من مقامات السالكين) .
وهذه الهوية التي كانت تحاول ان تجذر لنفسها في اسم يمنحها تحديداً، كان هذا محل المتصوفة المسلمين قبل غيرهم فهذا القشيري في كتابه (الرسالة القشيرية) يؤكد على خصوصية التصوف الاسلامي وكل الاصول ما هي سوى (مؤثرات شهدها التصوف الاسلامي في نشأتها الا ان هناك ادلة تشير الى ان التصوف في نشأته كان اسلامياً او انه نشأ على الارض العربية حتى قبل ظهور الاسلام).
ان تحديد هوية للتصوف الاسلامي تحاول ان تتخذ لها ادلة من الاسماء التي اتخذها هذا التصوف طبعاً هذه الادلة تجري في رهان يحاول ان يشكك في هذا المنتج الفكري عبر ارجاعه الى ما هو خارج الذات الاسلامية لهذا يقدم اهله والمدافعون عن التصوف على تأصيل هذه الهوية. فالصوفية اسم كان يطلق على ظاهرة الالبسة التي كان يرتديها الانبياء والاولياء، ويقول ابو سفيان الثوري ، ان اول من لقب بالصوفي هو ابو هاشم الكوفي الذي عاش في النصف الاول من القرن الثاني للهجرة والثامن الميلادي وهكذا يتداخل العام مع الخاص فكانت النتيجة، ان حدث تمازج بين الاراء والافكار الاسلامية مع اصحاب تلك الديانات التي تداخلت، مفهوماتها مع مفهومات الاسلام وبخاصة بالتصوف وهكذا تترسخ تصورات الباحثين عن التصوف كونه اسلامياً فيرون ان التصوف بالدرجة الاولى سلوك يسير عليه المريد وهو مجموعة قواعد يتبعها السالك وهو في اساسه عمل لا علم، والتصوف نعمة يسبغها الله على من يشاء من عباده ولا يستطيع احد مهما جهد ان يصل الى تلك النعمة اذا كان الله لا يريد له ذلك ولعل كونه يمثل عملاً اكثر من كونه جهداً معرفياً يقوم على التحصيل يظهر في طبيعة المعرفة ولوازمها التي تجعلها ممكنة في كون هذه المعرفة تأتي بدون جهد ذاتي بل تأتي الهاماً، فالهدف الاسمى من التصوف هو الحصول على معرفة عن طريق الالهام ولكن ما اسمى منه هو الكشف او المشاهدة وذلك بأن يكشف الله لعبده الذي اختاره عن خزائن علمه وعن حقيقة اسمائه بعد تنقله في المقامات ابتداء من مقام التوبة والورع والزهد والرضا والتوكل وبعدها يصبح السالك قادراً على تلقي المعارف من الله تعالى، وهذا التلقي يدعى حالاً والاحوال عند الصوفية عدة منها المحبة والخوف والرجاء والشوق والانس، فالاحوال جو نفساني يحيط بها المتصوف في اثناء تقدمه في المقامات هي ضمن الرياضات والمجاهدات التي يمارسها السالك فبعد تخطيه هذه الرياضات يصبح قلبه مستعداً لقبول نور اليقين واصبح ينظر بنور الله وهنا يتدخل التصوف في الوجد وهو حال من الشعور الخفي، وهو بدء النشوة في النفس الصوفي بالاقتراب من الله تعالى، فتصرف حواسه كلها عما حوله الى التأمل في الله الواحد ويبطل شعوره بكل ما حوله ويأتي بعد ذلك الفناء فلا يدرك خارج نفسه شيئاً حتى لو ضرب بسيف لا يكاد يشعر به وفي هذا يقول ابو حيان التوحيدي (التصوف اسم شيء من الاشارة وضروب من العبارات) فهو علم يدور بين اشارات الهية وعبارة وهمية.
أي اننا هنا امام استعارات لغوية تحاول ان تقدم توصيفاً لتجربة فردية، أي اننا امام مخيال صوفي يحاول التعبير عن معانٍ رمزية وهذا ما ظهر في المنتج الصوفي سواء اكان شعراً ام نثراً والرمزية تأتي هنا بالدلالات الاتية :
١- الاشارة بالشفتين او العينين او اليد او الفم او اللسان.
٢- وقصر بعضهم الرمز على الشفتين خاصة.
٣- ويرى بعضهم ان اصل الرمز هو الصوت الخفي الذي لا يكاد يفهم.
٤- او قيل انه الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم، ثم استعمل حتى صار الاشارة.
وفي العلاقة بين التجربة الصوفية واللغة يقول ابو سعيد الخراز :
وبعد كل ما ذكرته لك غير ما اردته ولا اعرفه، ولا ادري ما اريد، ولا ما اقول، ولا ادري من انا، ولا من اين اتى فهل تعرف ايها المستمع ما اقول لك؟ وهو عبد قد ضاع اسمه فلا اسم له، وجهل فلا علم له، وعلم فلا جهل له وثم قال واشوقاه! الى من يعرف ما اقول ويدخل معي فيما اقول.
وفي كل هذا فهو يشير الى جهل اهل الرسول لما في نية الصوفي الذي يحمل الكلمات والاستعارة دلالات غير مألوفة عبر الازاحة عن الحقل التداولي، أي بين عبارة العوام واشارة الخواص واللطاف الاولياء وحقائق الانبياء، تتبعثر اللغة وتتشظى.
والعلاقة بين اللغة والتصوف الاولى بين التجربة الصوفية / واللغة في التعبير عن هذه التجربة والثانية العلاقة بين التجربة الصوفية / والمؤسسة بوصفها شؤون المجتمع. أي اننا هنا نتحدث داخل الجماعة الصوفية بوصفها مؤسسة (طريقة) تبحث عن تعبير عن عالمها عبر اللغة، وهي بهذا تحاول بناء خطابها الخاص الذي يحاول ان يراعي الخطاب الاكبر الاسلامي المعبر عنه بالفقه والسياسة (أي الدولة) أي هناك ضوابط خارجية وهناك ضوابط داخلية.
وقد صاغت خطابها الرمزي والدلالي والميتافيزيقي الى (العبارة) وهو ما تصطلح عليه بالاسم الثلاثي : التعبير والتفكير والتدبير واللغة / الفكر / الواقع، فالتفكير الصوفي (الاطار الادبي والفلسفي والمحتوى الرمزي).
والتدبير (المحتوى الاخلاقي والقيمي والعلاقة الافقية بين الافراد، والعمودية بين الفرد ومعبوده) يجدان محتوياتهما ومضامينهما النظرية والعلمية في التعبير.

المثقفون ضمائر الامة والاحتجاج ضد (الاخ الاكبر يراقبكم)

جاسم الصفير

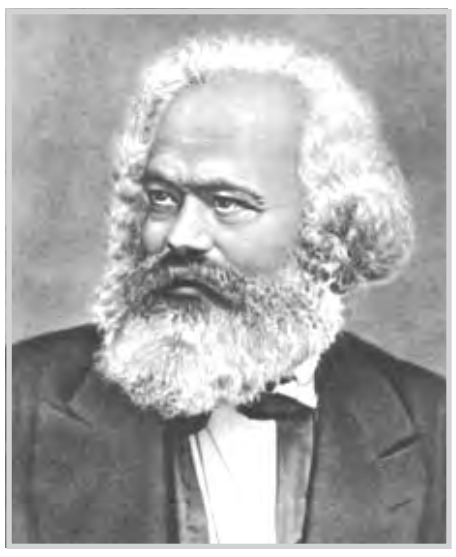

يعد الالتزام الفكري والسياسي من المسائل المهمة جدا لدى الفرد سواء كان مواطنا عاديا أم حين يتخذ صيغة معينة في المجتمع سواء كان اديباً أم مفكراً أم غيرهما في تعبيره عن قناعاته ومبادئه واستثمارها في مشاركته السياسية والفكرية لكي يبلور عبر هذه المواقف وعيا عصريا ومدنيا في المجتمع، لهذا يعد الالتزام او الواجب بلغة الفيلسوف رينيه ديكارت هو من صميم الثقافة والفكر ضد الاستبداد السياسي او الفكري وضرورة التنبيه والاحتجاج ان حدث في المجتمع من السلطة السياسية في أي مرحلة من مراحله ما يدل على ذلك من نوازع استبداد ومن امثلة الالتزام السياسي والفكري الذي كان يتخذه المثقفون بكل اطيافهم تقليد سياسي وثقافي في الصحافة البريطانية في احدى الحقب وكانت صيغة الاحتجاج تتخذ من مقولة ظهرت في احدى الروايات الانكليزية التي وردت على لسان احد ابطال الرواية والتي كانت ترمز للطاغية حيث كان يخاطب الشعب حين كان يريد اشعارهم بسلطته وكان يخاطبهم (الاخ الاكبر يراقبكم) وهي صيغة رمزية عن تحكم هذا الطاغية بمصير الشعب والمجتمع حيث عمد هذا الطاغية الى محاصرة الشعب بكل انواع الضغوط النفسية والطبيعية فعمل على جعل رقم خاص لكل فرد من شعبه سواء كان ذكراً أم انثى ويظهر بين الحين والاخر في شاشات كبيرة موزعة في كل البلاد تظهر فيها صورته ويشعرهم بوجوده بل الاكثر من ذلك هو منعه تعاطي الحب بين الشعب رجاله ونسائه حتى لايشعروا بكينونتهم ومع هذا هرب اثنان من شعبه الى غابات بعيدة عن المدن حتى يمارسا عاطفتيهما اللتين شعرا بهما كل تجاه الاخر ولكن مع هذا شعر هذا الطاغية بذلك واحس بالهلع من ذلك فأوعز لاجهزته بالقبض عليهما ومعاقبتهما على تعاطيهما الحب لانه شيئ محرم في مملكته فخرج الاخ الاكبر في شاشته ليقول "الاخ الاكبر يراقبكم" فاصبحت هذه المقولة هي الصيغة الاحتجاجية للمثقفين والصحفيين الملتزمين فكريا في حالة بروز نزعة للتسلط او الاستبداد من السلطة حتى ان كانت عن الطريق البرلماني في محاولة تمرير قانون او قرار لا يحوز موافقة الاغلبية وممثلي الشعب فتمنح السلطة سلطات استثنائية لكي تمرر هذا القانون فان حدث هذا يهب مثقفو الشعب في كل قناة ثقافية واعلامية بان يصدروا بيانات فكرية وصحفية يستلهمون فيها هذه المقولة حيث تعنون كل البيانات بعبارة (الاخ الاكبر يراقبكم) كناية واستعارة على ان السلطة بدأت تتجه نحو الاستبداد او الغاء الاخر وهكذا اصبح الادب والفن اداتين من ادوات الالتزام والاحتجاج وتنوير الشعب بهذا النزوع نحو الاستبداد، وبما ان المثقفين هم في الحقيقة طليعة الشعب والمجتمع فلا غرابة في ان يتصدروا الشعب في مثل هذه الممارسات، فالمثقف حسب تعبير الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو (يجسد ضمير الانسان ويوقظ فيه الوعي ويبشر المجتمع بالحقيقة) وهو هنا حامل رسالة التقدم والتعبير، اما الفيلسوف جان بول سارتر والذي مثل المثقف الملتزم فيقول (لقد دعيت الى الالتزام من جانب المثقف) واصبح مفهوم المثقف الملتزم شائعا منذ الخمسينيات بفضل انتشار الفكر الانساني الذي يؤمن بالتعدد والاختلاف . ومفكر آخر كارل ماركس والذي اعتبر المثقف ناقدا اجتماعيا يعبر عن ضمير المجتمع في البحث عن الحقيقة وصور وظيفته التي اعتبرها (نقداً صارماً لكل ما هو موجود صراحة تحول دون تراجع النقد لامام النتائج التي يتوصل أليها في الصراع مع السلطة ايا كانت).
ودعا انطونيو غرامشي (الى المثقف العضوي الذي يتماشى مع الطبقة العاملة ويصبح عقلها المفكر وقلبها النابض)، وعبر المفكر الفرنسي التوسير عن المثقف بانه (حامل المعرفة بوصفها عملية تمثيل نظري للموضوعات الخارجية، أي منتج الوعي) بينما ركز هربرت ماركوز (على ان مهمة الفكر هي الرفض، أي كسر حدة الواقع والسيطرة عليه) وهكذا نرى ان المثقفين في الامة والشعب هم اولئك العمال الفكريون حسب تعبير انجلز الذين يحاولون دائما ان يتصدروا طليعة الشعب في التعبير عن آرائه وصياغتها بشكل تصبح عناوين مرحلة مهمة من مراحل حياة الشعب وفي خلق تقاليد دستورية فعالة في محاولة لدفعها الى الامام والارتقاء بها نحو اوضاع اكثر انسانية راسمين لفضاء رحب لا اثر فيه لتسلط او الغاء الاخر، ولا غرابة في ذلك لان واحدة من معاني الثقافة هي تعديل المعوج حسب تعبير مفكرنا الكبير هادي العلوي، وايضا صقل الرمح، أي ازالة على ما يثقل صنعه بشكل جيد ويزيل الرداءة منه من معادن فاسدة. فاذاً الثقافة هي اطار فعال جدا ان استثمرت بجدلية فكر وتطبق بفكر ملتزم عصري متجدد ومحتوى مليء بالقيم الانسانية لكي تستطيع خلق حركة تسير نحو الاهداف المنشودة والمقبولة او الاهداف الموضوعية التي تنشد خيرا وينطوي ذلك خلق نزوع نحو التقدم يوجد مراحل تكون كل مرحلة من مراحله اكثر ازدهارا وارقى من المرحلة السابقة وكما تشير الى انتقال المجتمع البشري الى مستوى اعلى من حيث الوعي والقدرة الفكرية والسياسية ولهذا ما احوج مجتمعاتنا اليوم الى درجة من الوعي الفكري والسياسي سواء من النخب الفكرية أم المواطن البسيط عبر ممارسات تترجم الى تقليد فكري يكون الالتزام هو محوره وحجر الزاوية فيه يتبنى قضايا المجتمع ويكون عنواناً من عناوين بناء الذات الوطنية ويرسخ التقاليد الدستورية حيث يكون وكما عبرالروائي اسكندر دوماس في روايته (الفرسان الثلاثة) على لسان احد ابطال الرواية من فرسان القرن التاسع عشر (الكل للواحد والواحد للكل)، او كما يقول الشاعر التركي العظيم ناظم حكمت :

اذا لم تحترق انت
واذا لم احترق انا
واذا لم يحترق كلانا
فمن الذي سيضيء الظلام